

الفصل السابع

سنة سليمان عليه السلام في التوبة

نظرة على قصة سيدنا سليمان عليه السلام

هو سليمان بن داود وينحدر نسله إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

أعطى الله سيدنا سليمان قدرات خارقة للقدرات البشرية فعلمه منطق الطير وفهم لغاتها، وأعطاه قدرة فائقة على سماع الأصوات حتى سمع صوت النملة وحوارها مع قومها .

آناه الله من كل شيء يحتاج إليه في حياته، في دعوته ورسالته وملكه ، وكان شاكرًا لنعم الله عليه ، وطلب من ربه أن يوزعه شكر نعمته التي أنعمها عليه وعلى والديه ، وأن يعمل صالحًا يرضاه ، وأن يدخله برحمته في عباده الصالحين .

وكيف لا يشكر نعمه وقد كان جنوده من الإنس والجن ومن الحيوانات والطيور التي سخرها رب العالمين لمن اختاره نبيًا على قومه .

واستطاع سليمان عليه السلام أن يعرف ما لا يستطيع أحد من البشر أن يعرفه ، فقد أطاعه البشر والجن والحيوانات والطيور، فهذا الطائر الجميل - الهدهد - يبلغه بأخبار عن عرش عظيم وعن ملكة هذا العرش وقومها وما يعبدون .

ولم يكن سليمان عليه السلام يوما يحتاج إلى مال أو ما في الدنيا من متاع فقد رفض ما جاءه من هدايا من ملكة سبأ التي ظنت أنه ملك من ملوك الأرض الذين يغريهم المال والجاه الذين جاؤوا به من الدنيا وللدنيا ، ولكن هذا الملك لم يأت به شعب أو قوة أو دولة أو نظام ، إنه نبي من رب العالمين لقد رد لها هديتها وتوعد بإرسال جنود لا قبل لهم بها ، حتى يأتوا مسلمين ولم يكن إرهابيا بل نبيًا .

وكانت لسيدنا سليمان مدرسة في الإدارة والاستخدام فكل يقوم بما يستطيع من أعمال وما يطيق وما يناسبه فهذا طير يرسل رسائل مكتوبة، وهذا جنى يمكن أن يأتى بعرش ملكة سبأ في ثوان معدودة أو أقل وكان يعلم أن الله يتلى الإنسان بالنعم كما يتلى بالنقم ليختبر الإنسان هل شكر أم يكون من الكافرين، فنعم الله - سبحانه وتعالى - اختبار . للبشر كيف سيتصرفون فيها ، هل سيعطون كل ذي حق حقه ؟ أم سيأخذون

ويكثرون ويتكبرون ويطغون ويسعون فى الأرض فسادا ؟

وكان مدرسة فى الشكر تعلم المسلمين سرعة الشكر بمجرد حدوث النعمة حتى لا تلهى النعم عن الذكر ثم يأتى من بعده النسيان حيث اتباع الهوى والكبره وغيره .

فعندما جاء عرش ملكة سبأ فى ثوان معدودة ووجده سليمان عليه السلام ورآه مستقرا عنده فى نفس اللحظة : ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل : ٤٠] فكان نعم العبد وهو ما أثنى عليه ربه بذلك .

وكما كان سريعا فى الشكر ، كان سريعا فى الإنابة والعودة إلى الله فى حالة الخطأ أو النسيان ، فهى من صفات البشر التى لا يخلو إنسان منها منذ خلق آدم أبو البشر إلى يوم القيامة ، فعندما ضاع الوقت فى حب الخير عن ذكر الله وجاء وقت آخر لم تر هذه اللحظات تمر بسهولة على سيدنا سليمان .

فكل وقت لم يذكر فيه الله أحس فيه أنه مقصر ومذنب ، وطلب من ربه الغفران وكان دليل الاستجابة للدعاء ملموسا ومباشرا فقد طلب من الله - عز وجل - بعد المغفرة أن يهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده .

فكانت الاستجابة وكانت الهدية فى الدنيا ، فسخر الله له الريح تجرى بأمره ، والشياطين البنائين ، والقدرة على العطاء أو الإمساك عنه بغير حساب والمغفرة فى الآخرة وحسن المآب .

وكما كانت حياته خارقة للبشر وقدرات البشر كانت وفاته كذلك ، فكل ملك يموت تموت معه سلطته ، أما سليمان عليه السلام فقد مد الله له فى قدراته بعد ثماته واستمرت خوارقه إلى أن أظهر الله تعالى موته فتوقف الجن عن العمل ، أما جسده فقد ظهر وكأنه حى يرزق ففנית العصا التى يتكأ عليها ، ولم يفن الجسد الأسرع فى التحلل من الخشب ، فقد أكرمه الله حيا وميتا ويوم يلقاه .

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة سليمان عليه السلام فى التوبة :

قال تعالى فى سورة ص : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ [ص : ٣٢] للحذر من حب الدنيا وأن ذكر الله غفران للذنوب .

وفى سورة ص : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) ﴾ لطلب الدنيا والآخرة .

منهج التوبة

الحذر من حب الدنيا :

قال تعالى فى سورة ص : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ [ص : ٣٢] .

فى مدرسة سليمان للتوبة منهج لتغيير نظرة البنات للدنيا وتغيير طرق التعامل معها وتقييمها ووضعها بالنسبة لها .

فهذا سليمان عليه الصلاة والسلام أعطى ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فما غاية الملك اليوم المال والقصور والنساء وغيرها من حطام الدنيا .

هل استطاع أحد من ملوك القرن الواحد والعشرين أن يسير سحابًا أو يتحكم فيه كيفما شاء؟ هل استطاع ملك من ملوك الأرض أن يسخر الجن كيفا يريد؟ إنه فضل ومنة ونعمة أنعمها الله على نبيه سليمان، ولم ينس أنه عبد الله، وأن الله هو الذى وهبه هذه النعم .
لقد أحس بالذنب لحبه رؤية نعم الله عليه ، ولم يذكر الله حين عرضت عليه الخيل الجميلة فهى من متاع الدنيا وتذكر أن عند الله حسن المآب والمراجع .

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ .

فما الذى تملكه البنات اليوم ؟ ذهب ، فضة ، ملابس ، سيارات ، منازل ، وغيرها فمهما ملكت البنات فهو من حطام الدنيا ولا يزيد الناس إلا غرورا ، يقول الله تعالى فى سورة فاطر : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) ﴾ .

ولنغير نظرتنا للزينة فهى اختبار من الله للناس، يقول تعالى فى سورة الكهف : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) ﴾ فالمسلمة التى تدخل مدرسة سليمان فى التوبة لابد لها أن تغير طريقة تعاملها مع متاع الدنيا التى رزقها الله إياها ، وحتى تتجنب الغرور والكبر بما فى يديها من نعم عليها بكثرة الذكر والتسبيح والاستغفار والشكر والحمد لله فى الأولى والآخرة .

فهى تذكر نفسها - دائما - أن هذه النعم جاءت رزقًا كريمًا من الله - عز وجل -

وليس نتيجة لعملها أو قدراتها فكم من الفتيات يعتبرن جمالهن وسيلة للتعالي والتكبر على غيرهن من الفتيات اللاتي لم يحظين بهذا القسط من الجمال ، فالذى أعطاهما الجمال قادر على أن يسلبه منها فى لحظة فكم تكثر الحوادث ، وكم تكثر الأمراض التى يصاب بها الناس فتأخذ منهم الجمال والشباب ولا يرجع ثانية، فلتتذكر الله وتشكر نعمته عليها وتدعه أن يزيد لها من فضله وألا يجعلها فتنة لغيرها من المؤمنين .

وشكر نعمة الجمال يأتى أيضاً بالمحافظة عليه فى الظاهر وفى الباطن فتحافظ على نوعية طعامها ولا تأكل إلا الطيب وتقوم بالأنشطة الجسمية الرياضية والأعمال التى تحفظ جمالها وشبابها من العجز المبكر والذى يظهر فى صورة السمنة وانحناء الظهر وسقوط الشعر وخشونة الجلد ، وتسوس الأسنان أو سقوطها وفقر الدم وغيرها من الأمراض التى يصاب بها الفتيات رغم صغر سنهن .

وشكر نعمة الجمال أيضاً بالمحافظة عليه من أن يسلب نظرات الغير من الرجال الذين لا يحل لهم ذلك ، فلتطع الفتاة ربها وتشكر نعمة جمالها بارتداء الحجاب الذى يحفظ جمالها ويصون عفافها وكرامتها ولتتذكر الله ولتعلم أن هذه مرحلة من مراحل حياة الفرد .

فالزهرة عندما تتفتح ويفوح عبيرها فما يليها هو الذبول والسقوط والجفاف ، ولتتدبر كيف وصف الله الحياة الدنيا فى سورة الحديد : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ [٢٠] .

فإذا نظرنا إلى مراحل نمو الإنسان نجد أن حياة الأطفال لعب ولهو ، ثم تنمو البنت فتصير شابة ويظهر عليها ملامح الجمال والنضوج ، فتبدأ فى التزين والنظر إلى المرأة والاهتمام بالمظهر واللبس وجمال الوجه والزينة وجمال الشعر والجسم ، ثم تدخل فى مرحلة النضج والرشد وتبدأ فى التفاخر بنفسها وزوجها وأولادها وعملها ومركزها .

ثم يكبر الأولاد ويتزوجون ويتكاثرون فى الأموال والأولاد .

فكل مرحلة إذن لها ما تتزين به وتتفاخر به وتهتم به . فلا تهتم الشابة بجمع المال وتخزينه بقدر ما تهتم باللهو والزينة والتفاخر .

لقد خاف رسول الله محمد ﷺ على المسلمين من زينة الدنيا وزهرتها .

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال :

«إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» متفق عليه^(١) .

(١) البخارى فى الزكاة (١٤٦٥) ، ومسلم فى الزكاة (١٠٥٢/١٢٣) .

وخشى ﷺ أن تبسط الدنيا على المسلمين كما بسطت على الأمم السابقة فيتنافسوها كما تنافسها من قبلهم فتهلكهم كما أهلكت من قبلهم من الأمم .

فالخوف هنا من التنافس والمشاجرة وحب النفس ونسيان رسالة المسلم في الحياة فتقل درجة الإيمان ويبعد الإنسان عن ذكر ربه وتلهيه الدنيا بما فيها . وذكر الله تعالى في سورة الكهف : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٤٦) . والباقيات الصالحات هي : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - رسوله ﷺ بأن يصبر . نفسه مع المؤمنين ولا يتركهم ليحظى بزينة الدنيا وما فيها ، يقول تعالى في سورة الكهف : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [٢٨] .

وربما تساءل الفتيات هل تترك زينة الحياة الدنيا وخيرها وجمالها وتلجأ إلى التعب والزهد ؟ هل هذا المتاع حرام ؟ كيف تعمل فيما آتاها الله من نعم ؟

إذا دخلت الفتاة المسلمة مدرسة سليمان في التوبة فستحل لها هذه المسائل ، وستمر عليها الأزمة بسلام إن شاء الله . لقد وجد سليمان عليه السلام نفسه أمام نعمة من نعم الله بجمالها وعظمتها وقوتها فأعجب بهذا الوضع ولم يذكر ربه الذي أعطاه هذه المنزلة ، ومن الذي أعطى هذه الجياد هذا الجمال والروعة والعظمة ، ومن الذي أقدره على الرؤية والاطلاع ومن الذي حباه نعمة الإحساس بالحب والفرح : ﴿ نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٤٤) [ص] .

كان سليمان عليه السلام سريع الرجوع إلى ربه وسريع التذكر فليس النسيان عيباً في البشر ، إنه صفة خلق بها ، وقد رفع الله تعالى عن أمة الإسلام الخطأ والنسيان وما استكروها عليه .

فلنا جميعاً متع الحياة الدنيا ، ولكن كيف ؟! فلتذكر أن رسول الله ﷺ عندما علم بأمر الثلاثة الذين جاؤوا إلى زوجته عائشة رضي الله عنها ، وكان أحدهم يقوم الليل ولا ينام ، والثاني يصوم النهار ولا يفطر ، والثالث لا يتزوج النساء ، فلم يشن عليهم رسول الله محمد ﷺ ولكنه أعلمهم أنه يصوم ويفطر ويصلي وينام ويتزوج النساء وأنه من رغب عن سنته فليس منه ﷺ (١) .

(١) البخاري في النكاح (٥٠٦٣) .

فلم يأت الأنبياء والرسل بما لا يطيق البشر بل جاؤوا بما يطيقه البشر . فلم يكونوا ملائكة ولا رسالتهم خارقة .

- تحتاج الفتيات أن يضعن النعم والخيرات التي وهبهن الله إياها في مكانها الصحيح .

لقد وصل الحال بالشباب باستخدام قوتهم وجمالهم فيما لا يصح أن تستخدم وفي غير محلها .

لقد أصبح الشباب يتدربون على الألعاب والمهارات الرياضية ويتفرغون لها ، ولبناء العضلات وتحسين شكل الجسم ، ويذهب الشاب إلى المراكز الرياضية وإلى النوادي لكي يصل إلى ما يرضى نفسه في ذلك ولكن لماذا ؟ أين الهدف من هذه النعم والخيرات ؟ لو سألت الشاب ربما يجيب على ذلك بعدة إجابات منها :

اكتساب شكل جميل ، الفوز بالميدالية الذهبية أو الفضية ، أو البرونزية ، الحصول على بطولات عالمية ، الحصول على إعجاب الفتيات ، الحصول على مكانة بين الزملاء والأصحاب ... إلخ .

على أية حال لا يوجد ضمن ما سيقوله معظم هؤلاء الشباب أن سعيه لبناء العضلات والقوة البدنية هي التهيئة للجهد أو للدفاع عن الدين أو الوطن بل ربما يسعى هؤلاء المتظاهرون بالقوة إلى الهروب من الخدمة العسكرية .

وعندما تنظر إلى الفتيات المراهقات اليوم فسجد أن منهن من تستخدم نعم الله وخيراته التي أنعم بها عليها في أحسن فترات عمرها وجمالها فيما لا يرضى عنه الله ورسوله . نعم لها أن تتمتع ولها أن تحب الجمال والرشاقة والتزين والظهور والصحة ولكن لمن هذا ؟

الإجابة هي التي ستفرق بين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . وستوضح من جعل هواه لرضاء الشيطان وأعوانه ، ومن يجعل هواه تبعا لما جاء به رسول الله ﷺ .

ربما تخون الفتاة نفسها فتقول: إن هذا الأمر يخصني وأن هذه الزينة لنفسى ، وأننى لا يهمنى غيرى ، وأن كل واحد مسؤول عن نفسه ، وأن الشباب عليه أن يغض بصره وأن ... وأن ... وأن ... فالتحايل على الحق ليس له نهاية طالما أن الفيصل هو النفس والهوى وطالما أن الهوى يتبع خطوات الشيطان .

ربما تسأل الفتيات إذا لم تحب الدنيا فهل تزهد فيها ؟ الدنيا فيها الحلال والحرام ،

فيها الطيب والخبيث ، فيها ما يرضى الله وما يغضبه ، فيها الصواب والخطأ ، فيها كل المتناقضات ؛ والأخت المسلمة الفطنة هي التي تتمتع بها فيما يرضى الله وتأخذ الطيب وتصطفيه وتقدر على التفرقة بين الصواب والخطأ ، فليست الزهادة في الدين بتحرير الحلال ولا بإضاعة المال .

وإذا كان حب الله وحب الناس مطلوباً فإن رسول الله محمد ﷺ قد أحل هذا الطلب في الزهد فعندما سأله رجل أن يدلّه على عمل إذا عمله أحبه الله وأحبه الناس قال ﷺ : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » (١) .

والزهد في الدنيا لا يمنع من التمتع بها والإحساس بجمالها ، ولكنه يقف حائلاً بين المرء والطمع في الدنيا وعدم الشبع منها وحبها إلى درجة نسيان النفس . قال ﷺ : « حب إلى من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » (٢) .

هكذا لم يضع محمد ﷺ الصلاة في نفس درجات حبه للنساء والطيب ، ولكن هذا أمر الدنيا ، وأمر الدين فجعلت رضا نفسه وقرة عينه في الصلاة .

طلب الدنيا والآخرة :

في سورة ص : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّيَبْتَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) ۝ ﴾ .

قال محمد ﷺ : « قال سليمان : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة ، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ، ولم يقل : إن شاء الله ، فطاف عليهن ، فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، والذي نفسي بيده لو قال : إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله » أخرجه البخاري (٣) .

فهذه قصة لسيدنا سليمان عليه السلام حكاهنا لنا رسول الله محمد ﷺ وهي توضح كيف أعطى الله تعالى قوة وقدرات غير عادية لنبه سليمان عليه السلام ، وكيف أظهر سليمان عليه السلام هذه القدرة وتحدث بها ، وماذا كانت نيته من هذا العمل ، لكن لم يأت القدر بما تمنى سليمان عليه السلام فلم يقل : إن شاء الله ، وهو يعلم - وهو نبي - أن الله بيده ملكوت

(١) ابن ماجه في الزهد (٤١٠٢) ، وفي الزوائد : « في إسناده خالد بن عمرو ، وهو ضعيف متفق على ضعفه واتهم بالوضع .. » ، وصحح إسناده الشيخ الألباني .

(٢) النسائي في عشرة النساء (٣٩٣٩) ، وأحمد (٣/١٢٨ ، ١٩٩) .

(٣) البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٢٤) .

السموات والأرض وهو يقضى ولا يقضى عليه إلا أن عدم الذكر مع التمنى والتوقع اعتبره سليمان عليه السلام ذنبا طلب من ربه أن يغفره له .

وتعلمنا مدرسة سليمان عليه السلام كيف أن طلب المغفرة والعفو لا يعنى ترك الدنيا وما فيها من نعيم وخيرات وأن هذا النعيم لا يمنع من عبادة الله والفوز بجنته .

وهذه هى سنة رسول الله محمد ﷺ فقد كان يدعو : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة] .

والمسلم يسأل الله حسن ثواب الدنيا والآخرة .

فالإسلام لا يمنع التمتع بالدنيا وزينتها بل يجعلها عبادة : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام] فكل ما فى الحياة من فرحة وألم ، غنى وفقر ، صحة ومرض ، كلها من الله رب العالمين ، وعلى المؤمن أن يرضى بما قدر الله له من خير وأن يطلب - دائما - سعادة الدارين - الدنيا والآخرة - ويتعجب الرسول ﷺ من أمر المؤمن لأن كل أمره خير : « إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » (١) .

فالخير للمؤمن فى كل الأحوال فهو يرى بنظارة الإيمان بالله وجميل التوكل عليه وحسن الإنابة إليه ، وهو ما يختلف عن زاوية النظر عند غيره من الناس ، والذين لم يحظوا بمثل هذه النعم نعمة الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - ونعمة الإسلام ونعمة حب الله ورسوله .

فهذا الثانى يرى الخير فلا يعترف به ويرى الشر فلا يصبر عليه . فكيف إذا جاءت له الدنيا بما فيها فلا يشبع ولا يعترف بها ولا يشكر النعمة ولا يحافظ عليها . وقليل ما يشكرون .

لماذا الأخوات المسلمات خريجات مدرسة سليمان فى التوبة أكثر حظا من غيرهن ؟! ربما تحبيك السطور القادمة على السؤال وربما تجددين فى نفسك إجابات أخرى وفى كل الأحوال هن كذلك :

- يتمتعن بزيينة الدنيا والتى أخرجها الله لعبادة ، يقول تعالى فى سورة الأعراف :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [٣٢] .

(١) مسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٩٩/٦٤) .

هل الأخت المسلمة تحرم نفسها من ملبس أو مأكّل أو زينة أو الترفية أو العلم أو ما فى الدنيا من خير ؟

عندما تجدين كيف تعانى البنات والسيدات باتباعهن رچيم الشرق ورجيم الغرب ورجيم الصين وغيرها من الأنظمة البشرية فتحرم نفسها من طعام ما وتحرمه على نفسها كالذين يمتنعون عن تناول اللحوم والمنتجات الحيوانية ، والذين يمتنعون عن تناول الخبز والذين يمتنعون عن تناول الفواكه وغيرها من أجل الوصول إلى صورة ترضيهم وترضى الناس عنهم .

تجدين المسلمة المؤمنة بالله ورسوله تجعل هواها لما جاء به رسول الله محمد ﷺ فتتبع سنته وطريقة حياته فتفوز بالدنيا والآخرة فلا تأكل إلا عندما تجوع ولا تملأ معدتها عند الطعام فثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس ، وتصوم وتعمل وتخدم نفسها وتمشى فى الأسواق لقضاء حاجتها دون حرج أو تكبر وتقدم المساعدة لغيرها وتمشى فى قضاء حوائج المسلمين .

وبعد اتباع هذه السنة المعطرة سنة رسول الله محمد ﷺ فهل تحتاج المسلمة الصالحة لسنة الغرب أو الشرق ، لسنة من لا ملة ولا دين لهم ، لسنة أعداء الدين والإسلام لسنة المغضوب عليهم والضالين ... لا ... لا .

فالمسلمة لا ترضى عن سنة رسول الله ﷺ بديلاً . وعندما تجرى الفتيات وراء الموضة وسنة أعداء الإسلام فى اللبس والزينة ، فإنها ستجد نفسها لا يرضيها ما عندها ولا يكفيها ما تمتلكه فكل يوم جديد وليس بجديد ، فالقديم اليوم هو كذلك لكى يباع جديداً وكل عام يتفق أعداء الدين - وكلهم أولياء بعض - على أن يظهروا جزءاً من جسم المرأة والفتاة .

فهذا العام تظهر جزءاً من بطنها وهذا العام تلبس أحمر لاصقاً على الجسم ، والعام القادم تظهر جزء معيناً من صدرها ويكون طول الفستان أو (الجنية) فوق الركبة بمقدار كذا... وهكذا . وتمشى الفتيات المحرومات من العلم والدين والعقل وراء الضالين والمغضوب عليهم لعلها ترضى نفسها وهواها وتسائر أحدث خطوط الموضة ومدارس الأزياء الراقية لمنازل الشياطين .

ولكن الطاهرات المؤمنات القانتات الصالحات لا يحرمن أنفسهن من الزينة فكل الطيبات حل لهن ، ولهن كل ما يرغبن فى الزينة ويستخدمنها كما يرضى الله ورسوله

فتأخذ الدنيا والآخرة فلا تظهر إلا ما أمر به الشرع: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور : ٣١] .

فهذا هو الإطار الرباني للمؤمنات اللاتي يلتزمن بدينهن فالزينة ليست لكل الناس ، والفتاة ليست بضاعة رخيصة تعرض فى الشوارع على المحطات وفى الأتوبيسات وفى الجامعات وفى المدارس وفى الأسواق وعلى شاشات التليفزيونات وشاشات الحاسبات وأوراق الجرائد والمجلات ، إنها غالية الثمن أغلى من الذهب الذى يحفظ فى البترينات وعلب القطيفة ويهدى للغاليات هى أغلى من الفواكه التى تحفظ فى علب مغطاة وفى درجة حرارة مناسبة ولا تباع إلا للقادرين من الناس .

هى أشرف المخلوقات وأكرمهم فكيف ترضى لنفسها أن تسقط وتقل قيمتها عن رغيف الخبز الذى يباع على الأرصفة فهذا الرغيف الرخيص له ثمن ، أما من عرضت نفسها لكل الناس ليصيبوا من حسناتها وجمالها لا أجر لها إنها بلا ثمن . فأى فرق ومنزلة وكرامة إذن بين هذه الفتيات وبين المؤمنات لا يمكن وضعهن فى مقارنة إطلاقاً !

- الأخوات المسلمات يستطعن الاستمتاع بزينة الدنيا ويحظين بحسن ثواب الآخرة أما الأخريات فغائتهن الدنيا ويكفى أنها دنيا قصيرة الأجل نهايتها تراب وآخرها عذاب .

- المسلمات الصالحات يشبعن حاجاتهن من الدنيا من مأكّل ومشرب وزينة وملبس وعلم وعمل ويتوكلن على الله فى كل أعمالهن ويطلبن من الله العون الدائم والتوفيق والسداد والرشد والفلاح والمغفرة إذا أخطأن ، وحسن البصيرة فى الأمور وحب الله وحب رسوله وحب الخير للناس جميعاً وهن أنفع الناس للناس ، هن يعملن ويتوكلن على الله فى كل أحوالهن حق توكله فيحدثن توازناً فى حياتهن فلا يهتمهن لوم لائم ، ولا هجوم حاقّد، رضاء الله هو أسمى ما يطلبن وطاعته وطاعة رسوله هى سبيلهن فى الحياة . فهل هذه الفتاة تقارن بغيرها ، شتان بينها وبين من ارتضت بزينة الحياة الدنيا وحطامها .

المؤمنة ليست من الذين يقولون : ربنا آتانا فى الدنيا وما لها فى الآخرة من نصيب . إنما تدعو الله أن يرزقها حسن ثواب الدنيا والآخرة فهى تسعى بالدنيا وتسعى إلى

الآخرة فكان سعيها مشكورا ، يقول الله تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (١٨) وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَّشْكُورًا ﴾ (١٩) .

ولا تتعجب العاصيات من عطاء الله لهن أو يطمئن قلبهن لذلك ، فعطاء الله ليس محظورا على أحد .

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ كَلَّا نُمَدِّدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (٢٠) .

ذكر الله غفران للذنوب :

قال تعالى فى سورة ص : ﴿ إِنِّي أُحِبُّ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ [٣٢] .

الأخت المؤمنة التى تدخل مدرسة سليمان عليه السلام فى التوبة لا تجد سبيلا للنجاة من الذنوب والإنابة إلى الله تعالى غير الذكر - ذكر الله سبحانه وتعالى - فى قلبها ولسانها وفى عقلها وتحفظه فى ذهنها وتعتبر بهذا الذكر وتنصح نفسها وغيرها به .

قال تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (١٣٦) .

المؤمنة الفطنة تدرك معنى الفاحشة وماهيتها وتعرف متى تظلم نفسها فتسرع بالإنابة إلى الله فتستغفر لذنوبها ، هى لا تترك الظروف لتسيرها كما تسيرها ، ولا تترك الناس لتحكم فيها ثم تكون العاقبة عليها والحساب على نفسها يوم القيامة .

فهى هنا أحكمت عقلها واستفادت بعلمها وآيات الله وسنة رسوله ﷺ فذكرت ربها ولم ترض بحالها إلا ما يرضى الله تعالى .

يقول الله - عز وجل - فى سورة الأحزاب : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٥) .

لم تغفل الأخت الصالحة عن الذكر لحظة واحد ، فلسانها رطب بذكر الله وخطواتها استغفار ، وصعودها تكبير ، ونزولها تسبيح وتهليل ، فهى تنتظر ما أعدّه الله لها من مغفرة وأجر عظيم .

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿

أصبحت حياة المؤمنة ذكرًا - صباحا ومساءً - واستغفارا فهل هناك وقت إذن لاتباع خطوات الشيطان ، هل هناك وقت لسماع أغانى اللهو والنطق بها ، هل هناك وقت للحديث عبر الهاتف فيما يغضب الله ، هل هناك وقت للجلوس بالساعات أمام الحاسب لمخاطبة الغرباء أو أصحاب اللغو واللهو والذين لا يذكرون الله إلا قليلا ؟!

لم يصبح فى القلب غيره هو ، لم يصبح على اللسان من كلمات غير كلامه هو ، لم يصبح فى العقل غيره هو : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ (٤٤) ﴾ [الحشر] .

وأى فضل تسعى إليه الأخت أكبر من فضل ذكر الله لها.

تفرح الأخت عندما يذكرها من تقدره وتحترمه وتعزه ، فأى فرح وأى متعة وأى سعادة عندما يذكرها الله خالق البشر أجمعين ، يقول تعالى فى سورة البقرة : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [١٥٢] .

وذكر الله - عز وجل - ثناء على عباده - فضلا منه ومنة ونعمة - فهو يخرج المؤمنين من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى .

فلا تحتاج المؤمنة الصالحة لكثير من الاستشارات ممن لا يفقهون وأصحاب العلم الغير قائم على اتباع سنة الله ورسوله . إنه علم أصحاب الجهل الذين يضلون الناس على غير علم بدين الله . هو علم المغضوب عليهم والضالين .

لماذا تشغل الأخت بالدنيا ومشاكلها بعد أن عرفت أن الله - عز وجل - سيعطيها بفضل ذكره أفضل ما يعطى السائلين ، لماذا تشغل بأعمال لا خير فيها بعد أن أدركت أن ذكر الله تعالى خير الأعمال وأركانها .

لماذا تترك نفسها لهموم الدنيا ولغو ولهو حديثها فيكون ذلك عليها حسرة يوم القيامة على ما فرطت فى ذكر الله ؟

لماذا تترك ظل الله فى الجنة يوم الحساب ، والتى يحظى به الذاكرون والذاكرات ؟
لقد أيقنت الأخت المسلمة هذا الفضل العظيم فعكفت على ذكر الله فى نفسها تضرعا
وخفية . وقياما وقعودا وبكرة وأصيلاً . وفى جميع أحوالها .

وهى لم تكتف بذلك لقد جمعت واجتمعت مع الصالحات فى روضة الجنة فى
مجالس العلم فى رحاب رحمة الله رب العالمين، وأخذن يذكرن الله ويتلون آياته فحفتهم
الملائكة وذكرهم الله فىمن عنده . فهن الجليسات اللاتى لا يشقى بهن جليستهن .
وإذا كانت جميع الأعمال ستوضع يوم القيامة على الميزان ، فإن لا إله إلا الله لا
توضع فى ميزان .

قال ﷺ لأبى هريرة : « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا
شهادة أن لا إله إلا الله ، فإنها لا توضع فى ميزان ؛ لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها
صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرحح
من ذلك » (١) .

فذكر لا إله إلا الله أفضل ما قاله النبيون وهى ما يفتح بها أبواب الجنة ، وهى من
أسباب محو الخطايا والذنوب ، ورفع الدرجات وهى من أفضل الذكر الذى لا يجب أن
تنساها الأخوات طوال اليوم واللييلة .

وللمسلمة كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن
وهما : « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » (٢) . وسبحان الله والحمد لله ولا
إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وهى من الأذكار التى
يثاب قائلها بغفران الذنب إن شاء الله . وهى من أحب الكلام إلى الله عز وجل .

(١) إتخاف السادة المتقين (١١/٥) .

(٢) البخارى فى الدعوات (٦٤٠٦) ، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٣١/٢٦٩٤) .